كتاب فضائل القرآن

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وأَنْزَلْنَا إليْك الكِتَابَ بالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ ومُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، قَالَ ابنُ عَبَّاس: المُهَيْمِنُ: الأَمِينُ، القُرآنُ أَمِيْنٌ عَلى كُلِّ كتاب قَبْلَهُ.

وقال ابن كثير في «التفسير» ٢/٦٨: جعل الله تعالى هذا الكتابَ العظيم الذي أنزله آخرَ الكتب، وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملَها حيث جمع فيه محاسنَ ما قَبْلَه، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله الله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلِّها، وتكفَّل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩].

وقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس: ٥٨]، قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: فَضْلُ اللهِ: الإسْلامُ، وَرَحْمَتُهُ: أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ.

وقالَ: ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

أي: يُذْهبُ ما في القلوبِ من أمراضٍ من شكٍّ ونفاقٍ وشِرْكٍ وزَيْغٍ فالقرآن يشفي من ذلك كُلِّه، وهو أيضاً رحمةٌ يحصل فيها الإيمان والحكمةُ وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدَّقه واتّبعه فإنَّه يكون شفاءً في حقِّه ورحمة، وأما الكافر الظالمُ نَفْسَه فلا يزيده سماعُه القرآنَ إلا بُعْداً وكُفراً، فالآفةُ من الكافر لا من القرآن. أفاده الحافظ ابن كثير ٣/٦٣.

وقال اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أَي: شَرَفُكُمْ، وما تُذْكَرُونَ بِهِ، وقَولُه عَزَّ وجَلَّ: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧٢] أَي: بِما فِيهِ شَرَفُهُمْ.

باب

فضل تَعَلُّمِ القرآن وتعليمه

١١٣٩- عَنْ عُثْمانَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ».

قَالَ أَبو عَبْدِ الرَّحْمن السُّلميُّ: ذٰلِكَ أَقْعَدَنِي مَقْعَدَي هٰذَا، وكانَ يُعَلِّمُ مِنْ خِلافَةِ عُثْمانَ إلى إِمْرَةِ الحَجَّاجِ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٠٢٧) عن الحجَّاج بن مِنْهال، عن شُعْبَةَ، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٩).

وأبو عبد الرحمن السلمي اسمه: عبد الله بن حبيب.

وسُمِّي الكتابُ قرآناً، لأنه جُمعَ فيه الأمرُ والنهيُ، والوعدُ والوعيدُ، والقصصُ، وكل شيء جمعتَه، فقد قرأته، ومنه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ علينا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] وقد تُحذف الهمزة، فيقال: قريتُ الماءَ في الحوض، أي: جمعته، وقرأ ابن كثير «القُران» بغير همز، وقرأ به الشافعي، وقال: ليس هو من القراءة، إنما هو اسم لهذا الكتاب، وانظر «تاريخ بغداد» ٢/ ٦٢.

وفي الحديث: الحثُّ على تعلُّم القرآن وتعليمه. قال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٦٩٤: لا شكَّ أنَّ الجامع بين تعلُّم القرآنِ وتعليمه مُكَمِّلٌ لنفسه ولغيره، جامعٌ بين النفع القاصر والنفع المتعدِّي إلى الآخرين ولهذا كان أفضل. وهو

من جُملة مَنْ عنى الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ومن أَحسَنُ قولاً ممَّن دعا إلى الله وعَمِل صَالِحاً وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت: ٣٣]. والدعاء إلى الله تعالى يقع بأمور شتى من جملتها تعليمُ القرآن، وهو أَشرفُ الجميع. ولا يلزمُ من هذا أن يكون المُقرىءُ أَفْضَلَ من الفقيه، فإنَّ المخاطبين بذلك كانوا فقهاءَ النفوس لأنهم كانوا أَهْلَ اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أَكثر ممَّا يدريها مَنْ بَعْدَهم بالاكتساب، فكان الفِقْه لهم سَجِيَّة، فمن كان في مثل شأنِهم شاركهم في ذلك، لا مَنْ كان قارئاً أو مُقْرِئاً مَحْضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يقرؤه أَو يُقْرِئه.

باب

فضل تلاوة القرآن

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ وأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢].

قال الطبري في «التفسير» ٢٠/ ٢٥: أَمرني ربي أَن أُسْلِمَ وَجْهي له حنيفاً، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم، لا مَنْ خالفَ دين جدِّه -يعني إبراهيم- الحقّ، ودان دينَ إبليس عدوِّ الله.

وقوله تعالى: ﴿وأن أَتلوَ القرآن﴾ ذهب القرطبي في «التفسير» ١٣/ ٢٤٦ إلى أَنَّ معناه: وأُمِرْتُ أَن أقرأ القرآن وهو مقصودُ البغوي في الاستشهاد. وذهب ابن كثير ٣/ ٣٩١ إلى معنى النِّذارة والتبليغ للناس بتلاوته عليهم.

١١٤٠- عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ المَاهِرِ بالقُرآنِ مَثَلُ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، ومَثَلُ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، وهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

هذا حديث متفق علـى صحته، أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

قوله: «مثلُ المَاهِر» أي: صفته، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ الَّتي...﴾ [الرعد: ٣٧] أي: صفتها.

«السَّفَرَةُ»: هم الملائكة، سُمُّوا سَفَرَةً، لأنهم ينزلون بوحي الله، وما يقع به الصلاحُ بين الناس، كالسفير الذي يُصْلحُ بينَ القوم، يقال: سَفَرْتُ بين القوم، أي: أصلحتُ بينهم، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿بأيدِيْ سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥] ويقال: السَّفرةُ: الكَتَبةُ واحدهم سافِر، وسمي الكتاب سِفْراً، لأنه يَسْفِرُ الشيء ويُبَيِّنُه، وسمي الكاتِب سافراً، لأنه يُبَيِّنُ الشيءَ ويوضحه، ومنه إسفارُ الصبح، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَحمِلُ أسفاراً﴾ [الجمعة: ٥] أي: كتباً، واحدها: سِفْر.

قوله: «له أجران»: يعني أَجْرَ القراءةِ وأَجْرَ التعب. وليس المرادُ أن أَجْرَهُ أكثرُ من أَجْرِ الماهرِ بل الأول أكثر، ولذا كان من السَّفَرَةِ، لأنَّ قراءة الحافظ الماهر لا تخلو عن مشقَّةٍ، فإنَّه لا يصيرُ كذلك إلّا بعد عَناءٍ كثير ومشقة شديدة في الغالب.

١١٤١- عَنْ أَبي مَوسَى الأَشْعَرِيِّ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَقْرأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُونْجَةِ، طَعْمُها طَيِّبٌ، وريحُهَا طَيِّبٌ، ومَثَلُ الذي لا يَقْرأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، طَعْمُها طَيِّبٌ، ولا رِيْحَ لَها، ومَثَلُ الفَاجِرِ الَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحانَةِ رِيْحُها طَيِّبٌ، ولا طَعْمَ لها، ومَثَلُ الفَاجِرِ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، طَعْمُها مُرٌّ، ولا رِيْحَ لَها.

ومثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ، إنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيْحِهِ، ومَثَلُ الجَلِيْسِ السُّوءِ كَمَثَلِ الكِيْرِ، إنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ شَرَارِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

وروى مسلم بن إبراهيم، عن أبان، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ الحديث بتمامه، ولم يذكر أبا موسى. أخرجه أبو داود (٤٨٢٩).

«الأُترونجة» كذا وقع في رواية هذا الحديث، وهي لغةٌ فيه: وهو فاكهةٌ معروفة. وقد أخرج البخاري هذا الحديث في «باب فضل القرآن على سائر الكلام». قال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن»: ٥٢: ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أَنَّ طِيبَ الرائحة دار مع القرآنِ وجوداً وعدماً، فدلَّ على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البَرِّ والفاجر.

وقوله: «ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن» فسَّره الطيبي بأنه ليس المراد بهذا النَّفْيِ الانتفاءَ بالكلية، بل المراد أن لا تكون القراءةُ دَأْبَهُ وعادَتَه. قال الأُبَيُّ في «شرح مسلم» ٣/١٣٩: والأظهر خلافُ ذلك، وأَنَّ المرادَ إنَّما هو عَدَمُ حِفْظه البتَّة، لأن الحديث إنَّما خرج مَخْرَجَ الحضِّ على حِفْظِهِ.

وقوله: «لا ريح لها» أي: ريحاً مشتهاة، وإلَّا فإن للثمرة ريحاً.

١١٤٢- عَنْ ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا عَلى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ، ورجُلٌ آتاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

الحسد: تمني زوال النعمة عن المُنْعَم عليه، وهو حرامٌ بالإجماع، وينبغي لمن خطر له ذلك أن يكرهه كما يكره ما وُضِعَ في طَبْعه من حُبِّ المَنْهِيات، وأما الحسدُ المذكور في هٰذا الحديث، فهو الغِبْطَةُ، وأطلق الحسدُ عليها مجازاً، وهي أن يتمنَّى أن يكونَ له مثلُ ما لغيره من غير أن يزولَ عنه، والحِرْص على هٰذا يسمى مُنافسة، فإن كان في الطاعة، فهو محمود، ومنه قوله تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٦] وإن كان في المعصية، فهو مذموم، وإن كان في الجائزات، فهو مباحٌ، فكأنه قال في الحديث: لا غِبطةَ أعظمُ أو أفضلُ مِن الغبطة في هٰذين الأمرين.

ورواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، وقال: «فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أُوتِيتُ مثْلَ ما أوتيَ فلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يعمَلُ» أخرجه البخاري (٥٠٢٦) فبيَّن أنَّ قيامَه بالكتاب هو عملُهُ وفعلُهُ.

قال أبو رَزين: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] يتَّبِعُونَه ويَعْمَلُونَ به حقَّ عمله، وعن مجاهد مثله.

١١٤٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إذا رَجَعَ إلى أَهْلِه أَنْ يَجِدَ فيهِ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلاثُ آياتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ في صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسلم (٨٠٢).

قوله: «خَلِفات» بفتح الخاء وكسر اللام: الحواملُ من الإبل، وخَصَّها بالذكر لأنها محبوبة عند العرب.

وقوله: «يقرؤهن أحدكم في صلاته» هكذا قيَّد القراءةَ بالصلاة، وفي روايةٍ عند مسلم (٨٠٣) من غير تقييد. فعلى قاعدة ردِّ المطلق إلى المقيَّد تكون

القراءةُ في الصلاة، وعلى قاعدة رعاية المعنى، فإنَّ عدم التقييد أخصّ لأنه إذا كان كذلك لا مع كونها في صلاةٍ، فأحرى مع كَوْنِها في صلاة. وعلى أنها في صلاةٍ فهو أعمُّ من كَوْنِ الصلاة فرضاً أو نفلاً.

١١٤٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمرْو، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ، يَعْني لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ ورَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٦٧٩٩)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٧٦٦).

قال أبو سليمان الخطابي في «معالم السنن» ١/ ٢٥١: جاء في الأثرِ أن عددَ آي القرآنِ على قدر دَرَجِ الجنة، فمن استوفى قراءةَ جميع آي القرآنِ، استولى على أقصى درجِ الجنة.

١١٤٥- عن سهل بن معاذ الجُهَني، عَنْ أَبيهِ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ، فَأَحْكَمَهُ، وعَمِلَ بِما فِيْهِ، أُلْبِسَ والِدَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تاجاً ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيا لَوْ كانَتْ فِيْهِ، فَما ظَنُّكُمْ بالذي عَمِلَ بهِ».

أخرجه أحمد (١٥٦٤٥)، وأبو داود (١٤٥٣) وفي إسناده زَبَّان بن فائد، وهو ضعيف، وكذا شيخه سهل بن معاذ الجهني.

١١٤٦- عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كانَ القُرْآنُ في إِهَابٍ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ».

أخرجه أحمد (١٧٣٦٥) والدارمي (٣٣١٠)، وإسناده ضعيف.

حُكي عن أحمد بن حنبل قال: معناه: لو كان القرآن في إهاب ـ يعني: في جلد ـ في قلب رجل، يُرجى لمن القرآنُ محفوظٌ في قلبه أن لا تمسَّه النار. وهو قَوْلُ أَبي عُبَيْد في «فضائل القرآن»: ٢٣.

وقال أبو عبد الله البُوشَنْجِيُّ: معناه: أنَّ من حملَ القرآنَ وقرأه لم تمسَّهُ النارُ يوم القيامة.

قال البغوي رحمه الله: هذا كما يُروى عن أبي أمامة قال: «احْفَظُوا القرآن، فإنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ بالنارِ قلباً وَعَى القرآنَ» وذهب بعضهم إلى أنه كان في عصر النبي ﷺ علَماً لنبوته، كالآيات التي في عصر الأنبياء، من كلام الموتى أو الدواب ونحوه، ثم يُعْدَمُ بعدهم، ذكره القُتَيْبِيُّ.

قال خبَّابُ بنُ الأرتِّ: تقرَّبْ إلى الله ما استطعتَ، فإنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إليهِ بِشَيءٍ أَحَبَّ إليه مِنْ كلامه.

وقال الحسن: فضلُ القرآنِ على الكلام، كفضلِ الله على عباده.

وقال قتادةُ: لم يُجالسْ هٰذا القُرآنَ أحدٌ إلا قام عنه بزيادةٍ أو نُقصان، قضاء الله الذي قضى: ﴿شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يزيدُ الظالمين إلا خساراً﴾ [الإسراء: ٨٢]. ذكره أَبو عبيد في «فضائل القرآن»: ٢٣.

١١٤٧- عَنِ الحَارِثِ الأَعْوَرِ، قَالَ: مَرَرْتُ في المَسْجِدِ، فإذا النَّاسُ يَخُوضُونَ في الأحادِيثِ، فَدَخَلْتُ على عَلِيٍّ فَقُلْتُ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين، أَلَا تَرَى أَنَّ الناسَ قَدْ خَاضُوا في الأحادِيثِ! قَالَ: أَوَ قَدْ فَعَلُوا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: أَمَا إنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «أَلا إنَّها سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» فَقُلْتُ: فما المَخْرَجُ منها يا رسولَ الله؟ قال: «كِتَابُ الله، كَتابُ الله فِيْهِ نَبَأُ ما قَبْلَكُم، وخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ، وحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ، وهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ من جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله،

ومَنْ ابْتَغَى الهُدَى في غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله، هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيم، وهُوَ الصِرَاطُ المُسْتَقِيم، وهُوَ الذي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْواءُ، ولا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، ولا يَشْبَعُ مِنْه العُلَماءُ، ولا يَخْلَقُ عن كَثْرَةِ الرَدِّ، ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُه، هُوَ الذي لَمْ يَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، ومَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَنْ دَعَا إليهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم» خُذْها إليكَ يا أَعْوَرُ.

حديث ضعيف، أخرجه أحمد بنحوه مختصراً (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٨) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال. وقال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن»: ١٠: وقُصارى هذا الحديث أن يكونَ من كلام أَمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، وقد وَهِمَ بعضُهم في رفعه، وهو كلامٌ حَسَنٌ صحيح، على أَنَّه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ عن أَبي عبيد في «فضائل القرآن»: ٥٠.

١١٤٨- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ لا أَعْلَمُهُ إلّا مَرْفُوعاً قَالَ: «تَعَلَّمُوا القُرْآنَ، وسَلُوا الله بِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ رَجُلانِ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ، ورَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ به».

رواه أبو عُبيد في «فضائل القرآن» ص ٢٠٥، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٣٠)، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة، فيه مقال، لكن له شاهد يتقوى به عند أَبو عبيد: ٢٠٥، وأحمد (١٥٥٢٩) والبزَّار (كشف الأستار ٣/ ٩٢) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/ ١٨ من حديث عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اقرؤوا القرآنَ، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تَجْفوا عنه، ولا تَغْلوا فيه» وإسناده قوي، وصححه البزَّار.

١١٤٩- عَنْ رَجُلٍ: أَنَّ عِمْرَانَ بنَ الحُصَيْنِ مَرَّ عَلى رَجُلٍ يَقْرَأُ عَلى قَوْمٍ، فَلَمَّا قَرَأَ سَأَلَ، فَقَالَ عِمْرَانُ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ، فَإنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤونَ القُرْآنَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بهِ».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٩٨٨٥) و(١٩٩١٧)، والترمذي (٢٩١٨) وقال: هٰذا حديث حسن.

باب

١١٥٠- عَنْ عَامِرِ بن واثِلَةَ أَبي الطُفَيْل: أَنَّ نَافِعَ بن عَبْدِ الحارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بن الخَطَّاب بعُسْفَانَ، وكانَ عُمَرُ اسْتَعْمَلَهُ على مَكَّةَ، فَقَالَ له عُمَرُ بن الخَطَّاب: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ على أَهْلِ الوادِي؟ قَالَ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِم ابن أَبْزَى، قال: وَمَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قال: مَوْلىً من مَوَالِينا، قال عُمَرُ: فاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلىً! فَقَالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إنَّهُ رَجُلٌ قَارِىءُ القُرْآنِ، عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قَاضٍ، فَقَالَ عُمَر: أَمَا إنَّ نَبِيَّكُم ﷺ قَدْ قَالَ: «إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بالقُرْآنِ أَقْوَاماً ويَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٨١٧).

قوله: «فاستَخْلَفْتَ عليهم مولى» فيه دلالةٌ على اعتبارِ النَّسَبِ في الولاية، وأنَّ العِلْمَ والقرآن يَجْبُران نَقْصَ النَّسَب.

وقوله: «إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويَضَعُ به آخرين». المعنى: أَنَّ الله تعالى يرفَعُ من عَمِل بالعلم ويَضَعُ مَنْ لم يَعْمَلْ به أي: بالإعراضِ عنه، وترك العمل بمُقتضاه. وفي الحديث دليلٌ على شرفِ العِلْمِ، وسُمُوِّ الموازين في الدين.

١١٥١- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ الذي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ القُرْآنِ كالبَيْتِ الخَرِبِ».

أخرجه أحمد (١٩٤٧)، والترمذي (٢٩١٣)، والطبراني (١٢٦١٩) والحاكم ١/ ٥٥٤ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان وهو لين يُكتَبُ حديثُه ولا يُحْتَجُّ به، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

باب

فضل فاتحة الكتاب

١١٥٢- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: وقَرَأَ عَلَيْهِ أُبَيُّ ابنُ كَعْبٍ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ في التَّوْرَاةِ، ولا في الإنْجِيْلِ، ولا في الزَّبُورِ، ولا في القُرْآنِ مِثْلُها، وإنَّها السَّبْعُ المَثَانِي والقُرْآنُ العَظِيْمُ الذي أُعْطِيْتُ».

أخرجه البخاري (٤٧٠٣)، وأحمد (٨٦٨٢)، والنَّسائي ٢/ ١٣٩.

وفي الحديث من العِلْم: أَنَّ ثوابَ بعضِ القرآن أعظمُ من بعض، وأَنَّ السَّبْعَ المثاني هي الفاتحة.

١١٥٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثاني، والقُرْآنُ العَظِيْمُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٤٧٠٤).

وأراد بأم القرآن: فاتحةَ الكتاب، وسميت بأمِّ القرآن، لأنها أصلُ القرآن، وأمُّ كلِّ شيء: أصلُه، وسميت مكةُ أمَّ القرى، كَأنها أصْلُها ومُعْظَمُها، وقيل: سميت أمَّ القرآن، لأنها تتقدَّم القرآنَ، وكلُّ من تقدَّم شيئاً فقد أمَّه.

١١٥٤- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلى أُبيِّ بنِ كَعْبٍ وهُوَ قَائمٌ يُصَلِّي، فصَاحَ به، فَقَالَ: «تَعالَ يا أُبيُّ» فَعَجِلَ أُبَيٌّ في صَلاتِهِ، ثُمَّ جَاءَ إلى رَسولِ الله ﷺ فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ يا أُبَيُّ أَنْ تُجِيْبَني إذْ دَعَوْتُكَ؟ أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا اسْتَجِيْبُوا للهِ وللرَّسُولِ إذا دَعَاكُمْ﴾» [الأنفال: ٢٤] قَالَ أُبَيٌّ: لا جَرَمَ يا رَسُولَ الله، لا تَدْعُوني إلاّ أَجَبْتُكَ وإنْ كُنْتُ مُصَلِّياً، قَالَ: «تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ تُنْزَلْ في التَّوْرَاةِ، ولا في الإنْجِيْلِ، ولا في الزَّبُورِ، ولا في القُرْآنِ مِثْلُهَا؟» فَقَالَ أُبَيٌّ: نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «لا تَخْرُجْ مِنْ بابِ المَسْجِدِ حَتَّى تَعَلَّمَها» والنَّبيُّ ﷺ يَمْشِي يُرِيْدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ المَسْجِدِ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ لِيَخْرُجَ، قَالَ لَهُ أُبَيٌّ: السُّورَةَ يا رَسُولَ الله، فَوَقَفَ، فَقَالَ: نَعَمْ كَيْفَ تَقْرأُ في صلاتِكَ؟» فَقَرَأَ أُبَيٌّ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذي نَفْسِي بِيَدِه ما أُنْزِلَ في التَّوْرَاةِ، ولا في الإنْجِيلِ، ولا في الزَّبُورِ، ولا في القُرْآنِ مِثْلُها، وإنَّها لَهِيَ السَّبْعُ مِنَ المَثاني الَّتي آتَاني اللهُ عَزَّ وجَلَّ».

هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد (٩٣٤٥)، والترمذي (٢٨٧٥) وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح.

وقوله: «وإنَّها لهي السَّبْعُ مِنْ المثاني» قيل: أراد: هي السَّبْعُ المثاني، كما في الرواية الأولى، و «مِنْ» زائدة، وأراد بها فاتحةَ الكتاب هي سبع آيات، سُمِّيت الفاتحة مَثانِيَ، لأنها تُثَنَّى في الصلاة في كلِّ ركعة.

وقيل: سُمِّيَتِ الفاتِحةُ مَثَانِيَ، لأنها استُثنيتْ لهذه الأمة، لم تُنْزَل على مَنْ قَبْلَهَا، وقيل: سُمِّيَتْ مَثَانِيَ، لما فيها من الثناء، فهي مفاعل من الثناء،

والواحد مَثْنى، كالمحامد، واحدها مَحمَدةٌ، وكذلك فَسَّرُوا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولقد آتيناكَ سَبْعاً من المثَاني﴾ [الحجر: ٨٧].

وقيل: المراد من «المثاني» في هذا الحديث: القرآنُ كلُّهُ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحدِيْثِ كتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] سمي القرآنُ كُلُّهُ مثَانِي، لأن القصصَ والأمثالَ ثُنِّيَتْ فيه، فمعنى قوله: «إنَّها السَّبْعُ مِنْ المَثانِي» أي: الفاتحة سبع آيات من جملة القرآن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولقَدْ آتينَاكَ سَبْعاً من المَثاني﴾: إن المراد مِنْ المثاني السُّوَرُ التي تَقصُرُ عن المِئِيْن، وتزيدُ على المفصَّل، قيل لها: مثانِيَ، كأنَّ المئِينَ جُعِلَتْ مَبَادِيَ، والتي تليها مثانِيَ.

وفي الحديث دليل على أن إجابة الرسول ﷺ في الصلاة لا تُبْطِلُ الصلاةَ، كما أنك تخاطِبُه بقولك: السلامُ عليك أيها النبيُّ، ومثله يُبْطل الصلاة مع غيره. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٩: وفيه بَحْثٌ لاحتمالِ أَن تكونَ إجابته واجبةً مطلقاً سواءٌ كان المخاطبُ مُصلِّياً أو غير مُصَلٍّ، أما كونُه يخرج بالإجابةِ من الصلاة أو لا يخرج فليس في الحديثِ ما يستلزمه.

وفي الحديث دليلٌ أيضاً على أَنَّ الأمْرَ يقتضي الفَوْرَ، لأنَّه عاتَبَ الصحابيَّ على تأخير الإجابة.

وفيه أيضاً جواز تفضيل بعض القرآن على بعض، وهو قول غير واحد من الأئمة وهذا التفضيل إنما هو من حيث المعنى لا من حيث الصفة ومما لا شك فيه أن المعاني تتفاوت وتتفاضل فمعاني ﴿قل هو الله أحد﴾ أفضل من معاني ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ومعاني ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣] أفضل من معاني ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ [الأنعام: ١٤٣] مع أن الكل مشترك في الصفة، وهي كونه كلام الله.

١١٥٥- عَنْ أَبي سَعِيْدٍ قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ في سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هٰؤلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يا أَيُّها الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنا لُدِغَ، وسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيءٍ لا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيءٍ؟ قَالَ بَعْضُهُم: نَعَمْ واللهِ لَأَرْقِيْ، ولٰكِنْ واللهِ لَقَد اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونا، فما أَنا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً، فَصَالَحُوهُمْ على قَطِيْعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ، ويَقْرَأُ ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾ فَكَأَنَّمَا نُشِط مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي ومَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُم الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، قَالَ الَّذي رَقَى: لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبيَّ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذي كانَ، فَنَنْظُرَ ما يَأمُرُنا، فَقَدِمُوا عَلى رَسُولِ الله ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيْكَ أَنَّها رُقْيَةٌ» ثُمَّ قَالَ: «أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا واضْرِبُوا لي مَعَكُم سَهْماً» فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

وفي الحديث جوازُ الرقيةِ بكتابِ الله، ويلتحِقُ به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غيرُ المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وفيه مقابلة من امتنع من المكرمة بنظيرِ صنيعه لما صنعه الصحابي من الامتناع من الرقية في مقابلة امتناع أولئك من ضيافتهم، وفيه أن الرزق المقسوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممن قُسِم له، لأن أولئك منعوا الضيافة، وكان الله قَسَمَ للصحابة في مالهم نصيباً، فمنعوهم، فسبب لهم لدغَ العقرب حتى سيق لهم ما قُسِمَ لهم،

وفيه الحكمة البالغة حيث اختص بالعقاب من كان رأساً في المنع، لأن من عادة الناس الائتمارَ بأمر كبيرهم، فلما كان رأسَهم في المنع، اختصَّ بالعقوبة دونهم جزاء وفاقاً.

ورواه عبد الله بن عبَّاس، وفي روايته «فقرأ بفاتِحةِ الكتاب على شاءٍ فَبَرأَ» فقالوا: يا رسولَ الله أخذ على كتاب الله أجراً! فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحَقَّ ما أَخذتُمْ عليه أَجْراً كِتابُ اللهِ».

أخرجه البخاري (٥٧٣٧)، قال العينيُّ رحمه الله في «عمدة القاري» ٥/٦٤٧، ٦٤٨: وقد اختلف العلماءُ في أَخذ الأجرِ على الرقية بالفاتحة، وفي أخذه على التعليم، فأجازه عطاء وأبو قلابة، وهو قولُ مالك، والشافعي، وأحمد، وأبي ثور، ونقله القرطبي عن أبي حنيفة في الرقية، وهو قولُ إسحاق، وكره الزهري تعليم القرآن بالأجر، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يجوزُ أن يأخذَ الأجر على تعليم القرآن، وقال الحاكم من أصحابنا في كتابه «الكافي»: ولا يجوز أن يستأجِرَ رجلٌ رَجُلاً أن يُعَلِّمَ ولَدَهُ القُرآن والفقهَ والفرائضَ أو يؤمهم في رمضان أو يؤذن، والأصل الذي بني عليه حرمة الاستئجار على هٰذه الأشياء أن كلّ طاعة يختصُّ بها المسلم لا يجوزُ الاستئجارُ عليها، لأن هذه الأشياءَ طاعةٌ وقربة تقع عن العامل، قال تعالى: ﴿وأن لَيْسَ للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] فلا يجوز أخذُ الأجرة من غيره كالصوم والصلاة، واحتجوا على ذلك بأحاديث منها، وذكر الأحاديث التي تقدم ذكرها، ثم قال: وهذه الأحاديث وإن كان في بعضها مقال، لكنها يؤكد بعضها بعضاً.

قوله: «قال بعضُهم»: هو أَبو سعيد الخدري رضي الله عنه راوي الحديث.

قوله: «ما به قَلَبَة» بالتحريك أي: ما به عِلَّةٌ.

قوله: «نُشِطَ من عِقَالٍ» أي: حُلَّ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿والنَّاشِطَاتِ نشطاً﴾ [النازعات: ٢] وهي الملائكة تَنْشُطُ أرواحَ المسلمين، أي: تَحُلُّهَا حَلاً رَفِيقاً، وفي رواية «أُنشِطَ مِنْ عِقَالٍ» يقال: أَنشَطتُ العُقدةَ: إذا حللْتَها، ونَشَطْتُ الشيءَ: إذا شددتَه بلا ألفٍ، والأنشُوطَةُ: الحبل الذي يُشَدُّ به الشيءُ.

وقد روي مرسلاً عن عبد الملك بن عُمَيْرٍ. قال: قال رسول الله ﷺ في فاتحة الكتاب: «شفاءٌ من كلِّ داءٍ» وفي إسناده مقال.

باب

فضل سورة البقرة وآل عمران

١١٥٦- أخبرنا عبد الله بن بُرَيدةَ، عَنْ أَبيهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، ولا يَسْتَطِيْعُها البَطَلَةُ» ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَةِ وآلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهما الزَّهْرَاوانِ، وإِنَّهُما تُظِلاَّنِ صَاحِبَهُما يَوْمَ القِيَامَةِ، كَأَنَّهُما غَمامَتانِ، أَوْ غَيايَتانِ، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وإِنَّ القُرْآنَ يَأتي صَاحِبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ حِيْنَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي. فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنا صَاحِبُكَ القُرْآنُ الَّذي أَظْمأْتُكَ بالهَواجِرِ، وأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وإِنَّ كُلَّ تاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وإِنَّكَ اليَوْمَ مِنْ وَراءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى المُلْكَ بِيَمِيْنِهِ، والخُلْدَ بِشِمَالِهِ، ويُوضَعُ عَلى رَأْسِهِ تاجُ الوَقَارِ، ويُكْسَى والِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لا يَقُومُ لَهُما أَهْلُ الدُّنْيا، فَيَقُولانِ: بِمَ كُسِيْنَا هٰذَا؟ فَيُقَالُ لَهُما: بأَخْذِ وَلَدِكُما القُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ: اقْرَأْ واصْعَدْ في دَرَجِ الجَنَّةِ وغُرَفِها، فَهُوَ في صُعُودٍ مَا دامَ يَقْرأُ هَذّاً كانَ أَوْ تَرْتِيْلاً».

أخرجه أحمد (٢٢٩٥٠)، وفي سنده بشير بن المهاجر روى له مسلم حديثاً واحداً متابعة، وهو مختلف فيه، فقد وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال البخاري: يخالف في بعض حديثه، وقال النسائي: ليس فيه بأس، وقال أحمد: منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه، فإذا هو يجيء بالعجب، وقال ابن عدي: روى ما لا يتابع عليه، وهو ممن يكتب حديثه، وإن كان فيه بعض الضعف، وحسنه ابن كثير في تفسيره ١/ ٦٢، ولبعضه شواهد يصح بها، انظر في «المسند».

وقوله: «يُعْطَى المُلْكَ بيمينِه» لم يُرِدْ به أن شيئاً يُوضَعُ في يديه، وإنما أراد به: يُجعل له الملكُ والخلدُ، ومن جُعِلَ له شيءٌ مِلكاً، فقد جُعِلَ في يده، ويقال: هو في يدك وكفِّك، أي: استوليتَ عليه.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التُّرابي، أخبرنا الحاكم أبو الفَضْل محمد بن الحسين الحدَّادِي، أنبأنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحَنْظَلِيُّ، أنبأنا أبو نُعَيم بإسنادِ حُمَيد بن زَنْجَويه مثلَه سواء، وقال: «وإنَّ القُرْآن يَلقَى صَاحِبَهُ» ولم يقلْ: «يأتي» ولم يقل قوله: «فيقُولانِ: بِمَ كُسِينا هذا، فيقالُ لهُمَا: بأخْذِ وَلَدِكُما القرآن» وذكر ما بعده.

وصحَّ عن أبي هريرة: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَنفِرُ مِنْ البَيْتِ الذي يُقْرَأُ فيه سُورَةُ البقرة».

١١٥٧- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذي يُقْرَأُ فيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٨٠)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن»: ١٢١.

وفيه دليل على أنه يجوز أن يقال: (سُورَةُ البَقَرَةِ) وكرهه بعضهم، وقال: ينبغي أن نقولَ: السورةُ التي يُذْكَرُ فيها البقرةُ، وكذلك أمثالُها، والأول أولى وأصحُّ.

١١٥٨- عن أبي سلاّم، عَنْ أَبي أُمَامَةَ: أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَؤوا القُرْآنَ، فإنَّهُ يأتي شَافِعاً لأصْحَابِهِ، اقْرَؤوا الزَّهْرَاوَيْنِ البَقَرَةَ وآلَ عِمْرَانَ، فَإنَّهُما يَأتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُما غَمَامَتَانِ أَو غَيَايَتَانِ أَو فِرقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهما، اقْرَؤوا البَقَرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا يَسْتَطِيْعُها البَطَلَةُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسْلم (٨٠٤).

قوله: «أو غَيَايَتَانِ» قال أبو عبيد: الغَيَايَةُ: كل شيء أظل الإنسانَ فوق رأسه مثلُ السحابة والغَبَرة، يقال: غايا القَوْمُ فوق رأسِ فلان بالسيف، كأنهم أظلُّوه.

وقوله: «لا يَستَطِيْعُها البَطَلَةُ» أي: السحرة، يقال: أبطلَ: إذا جاء بالباطل، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لا يأتيه البَاطِلُ مِنْ بين يديه﴾ [فصلت: ٤٢] قال قَتادَةُ: الباطِلُ: إبليس لا يزيد في القرآن، ولا ينقُصُ منه، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ومَا يُبْدِىء الباطِلُ ومَا يُعيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] يعني بالباطل: إبليس، لا يُبْدِىءُ ولا يُعِيْدُ بل الله هو المبدىء المعيد.

قال أبو عيسى الترمذي بإثر الحديث (٢٨٨٦) في معنى قوله «يأتيان» يعني: يجيء ثوابُ قراءته، هكذا فسر بعضُ أهلِ العلمِ هذا الحديثَ وما يُشبِهُ هذا أنه

يجيء فضلُ الأعمال وقراءة القرآن. وهو قَوْلُ أَبي عبيد في «فضائل القرآن»، ١٢٦. قال بعضُهم: تكلَّم أبو عُبَيْد بهذا. والسيفُ يومئذ يَقْطُر، كأنه يعني فتنةَ خلق القرآن.

١١٥٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ البَيْتِ الَّذي يُقْرَأُ فيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ، وإنَّ أَصْفَرَ البُيُوتِ الصِّفْرُ مِنْ كِتَابِ اللهِ».

أخرجه النسائي (٩٦٣) مرفوعاً ووقفه على ابن مسعود النسائي (٩٦٤)، وعبد الرزاق (٥٩٩٨)، والحاكم ٢/ ٢٥٩. وقوله: «إن الشيطان يفر..» أخرجه مسلم مرفوعاً (٧٨٠) من حديث أبي هريرة.

قولُه: «الصِّفْرُ» أي: الخالي. يقال: صَفِرَ الوِعاءُ إذا خلا. وانظر «غريب الحديث» للخطابي ١/ ١٢٧.

باب

فضل آية الكرسي والآيتين من آخر سورة البقرة

١١٦٠- عَنْ أُبيِّ بن كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبا المُنْذِرِ أَيُّ آيةٍ مِنْ كِتابِ اللهِ أَعظَمُ؟» قُلْتُ: ﴿اللهُ لا إلٰهَ إلّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ في صَدري، ثُمَّ قَالَ: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ» ثُمَّ قَالَ: «والَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ لِهٰذِهِ الآيَةِ لِساناً وشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ المَلِكَ عِنْدَ سَاقِ العَرْشِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مُسْلم (٨١٠)، وأحمد (٢١٢٧٨)، وعبد بن حميد (١٧٨)، وأبو داود (١٤٦٠).

وفي الحديث: فضيلةُ آيةِ الكرسي. وجوازُ ثناء العالم على بَعْضِ أصحابه.

وقوله: «ليهنك» أي: ليكن العلم هنيئاً لك وهو دعاءٌ له بتيسيره عليه، وإخباره أنَّه من أَهْله.

١١٦١- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمضان، فأَتَاني آتٍ، فجَعَلَ يَحْثُو من الطعام، فأَخَذْتُهُ، وقُلْت: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، قال: إنِّي مُحْتَاجٌ وعليَّ عِيالٌ، ولي حاجَةٌ شَديدَةٌ، فخَلَّيْتُ عنهُ، فأَصْبَحْتُ، فقَالَ النبيُّ ﷺ: «يا أَبا هُرَيْرَةَ ما فعلَ أَسِيرُك البارِحة؟» قال: قلتُ: يا رسولَ الله شَكى حاجَةً شَدِيدةً وعِيالاً، فرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: أَمَا إنَّهُ قد كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ فعرَفْتُ أنَّه سَيَعُود، لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ: «إنَّه سَيَعُود» فرَصَدْتُهُ، فَجاءَ يَحْثُو من الطَّعام، فأَخَذْتُهُ، فقلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ الله ﷺ، قال: دَعْنِي، فإنِّي مُحْتَاجٌ، وعليَّ عِيالٌ، لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَه، فأَصْبَحْتُ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «يا أَبا هُرَيْرَةَ ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟» قلتُ: يا رَسُولَ الله، شَكَى حاجَةً وعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيتُ سَبِيلَه، قال: «أمَا إنَّه قَد كَذَبَكَ، وسيعُود»، فَرَصَدْتُه الثَّالثَةَ، فجَاءَ يَحْثُو من الطَّعام، فأَخَذْتُهُ، فقلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وهٰذا آخِرُ ثَلاثِ مرَّاتٍ، إنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ، ثمَّ تَعُودُ، قال: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بها، قُلتُ: ما هُنَّ؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِراشِكِ، فاقْرأ آيَةَ الكرسي ﴿ الله لا إلٰه إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآية، فإنَّكَ لن يَزالَ عَلَيكَ من الله حافِظٌ ولا يَقْرَبُكَ شَيْطانٌ حتَّى تُصْبحَ، فخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فأَصْبَحْتُ،

فقالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «ما فعلَ أَسِيرُكَ البارِحَةَ؟» قلتُ: يا رسولَ الله زَعَمَ أَنَّه يُعَلِّمُني كَلِماتٍ يَنْفَعُني اللهُ بها، فخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قال: «ما هي؟» قَالَ: قال لي: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فاقرأْ آيَةَ الكُرْسِي من أَوَّلِها حَتَّى تَخْتِمَ الآية: ﴿الله لا إلٰه إلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم﴾، وقال لي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ من الله حافِظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتَّى تُصْبِحَ، ـ وكانُوا أَحْرَصَ شَيء على الخَيْر ـ فقال ﷺ: «أَما إنَّه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ منذ ثَلاثِ لَيالٍ يا أبا هُرَيْرَةَ؟» قال: لا، قال: «ذاكَ شَيْطَانٌ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٣١١) تعليقاً وهو موصول عند النسائي (٩٥٩) وابن خزيمة (٢٤٢٤).

قوله: «وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخير». يريد أن الصحابة كانوا من أشدِّ الناس حرصاً على الخير، وفيه التفات، إذ السياقُ يقتضي أن يقولَ: وكنا أحرص شيءٍ على الخير، وقال الحافظ: ويحتملُ أن يكونَ هذا الكلامُ مُدرجاً، من كلام بعض رواته، وعلى كُلِّ حالٍ، فهو مسوق للاعتذار عن تخلية سبيله بعدَ المرة الثالثة حرصاً على تعلم ما ينفع.

وفي الحديث من الفِقْهِ: أَنَّ الشيطانَ قد يعلمُ ما ينتفع به المؤمن. وأَن الحكمة قد يتلقَّاها الفاجر فلا يَنْتَفِعُ بها وتُؤخَذُ عنه فَيُنْتَفَعُ بها. وأَنَّ الكافر قد يُصَدِّقُ ببعض ما يصدق به المؤمن ولا يكون بذلك مؤمناً. وأَنَّ الشيطان قد يتصوَّرُ ببعضِ الصور فتمكن رؤيته. وفيه أيضاً: فضلُ آية الكرسي.

١١٦٢- عن ابن أُبيِّ بن كعب: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَه أَنَّهُ كانَ لَهُمْ جُرْنٌ فيه تَمْرٌ، وكانَ أُبَيٌّ مِمَّا يَتَعَاهَدُهُ، فَيَجِدُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذاتَ لَيْلَةٍ، فَإذا هُوَ بِدَابَّةٍ كَهَيْئَةِ الغُلاَمِ المُحْتَلِم، قالَ: فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ السَّلامَ،

فقلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ أَجِنٌّ أَمْ إنْسٌ؟ فَقالَ: جِنٌّ، فَقُلْتُ: نَاوِلْني يَدَكَ، قَالَ: فَنَاوَلَنِي يَدَهُ، فإذا يَدُ كَلْبٍ، وشَعَرُ كَلْبٍ، فَقُلْتُ: هٰكَذَا خَلْقُ الجِنِّ؟ فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الجِنُّ أَنَّهُ ما فِيْهِمْ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنِّي سَيْراً، فَقُلْتُ: ماَ يَحْمِلُكَ على مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَغَني أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْ طَعامِكَ، فَقُلْتُ: فما الَّذي يُجِيْرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هٰذِهِ الآيَةُ آيةُ الكُرْسِيِّ، قَالَ: فَتَرَكَهُ وغَدَا أُبَيٌّ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «صَدَقَ الخَبِيْثُ».

حديث حسن أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٦٠)، وصححه ابن حبان (٧٨٤)، والحاكم ١/ ٥٦١-٥٦٢، ووافقه الذهبي.

١١٦٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حِيْنَ يُصْبحُ آيَةَ الكُرْسِيِّ وآيَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ ﴿حم. تَنْزِيْلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيْمِ﴾ [غافر: ١-٢] حُفِظَ في يَوْمِهِ ذٰلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، فَإنْ قَرَأَهُما حِينَ يُمْسِي حُفِظَ في لَيْلَتِهِ تِلْكَ حَتَّى يُصْبِحَ».

هذا حديث غريب أي: ضعيف أخرجه الترمذي (٢٨٨٢)، ورواه ابن أبي فديك، عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مُلَيْكَةَ المُلَيكي، وقال: ﴿حم﴾ المؤمن إلى ﴿إليهِ المصِير﴾ [(المؤمن) غافر: ١-٣]. وقد تكلَّم بعضُ أَهل العِلْمِ في عبد الرحمن ابن أبي بكر من قِبَلِ حِفْظِه.

١١٦٤- عَنْ أَبي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِما في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

هـذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠١٠)، ومسلم (٨٠٧).

قوله: «كفتاه» أي: أجزأتاه من قيام الليل. وقيل: كفتاه من كلِّ سوءٍ، وقيل: كَفَتاه شرَّ الشيطان. وقيل: أجزأتاه فيما يتعلَّق بالاعتقادِ لما اشتملتا عليه من الإيمانِ والأعْمالِ إجمالاً.

١١٦٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَهُ جِبْرِيلُ، إذْ سَمِعَ نَقِيْضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ جِبْرِيلُ بَصَرَهُ إلى السَّماءِ، فَقَالَ: «هٰذَا بَابٌ فُتِحَ مِنَ السَّماءِ مَا فُتِحَ قَطُّ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهما لَمْ يُؤتَهُما نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةِ الكِتَابِ، وخَواتِمِ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ حَرْفاً مِنْهُما إلا أُعْطِيْتَهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٨٠٦).

قوله: «فَسَمِعَ نَقِيْضاً» أي: صوتاً.

قوله: «لم يؤتهما نبيٌّ قبلك» يعني ثوابهما، وإلَّا فلا خصوصية فيهما لأنَّ غيرهما من القُرآن لم يُؤته نبيٌّ قبله.

١١٦٦- عَنِ النُّعْمانِ بنِ بَشِيْرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله تَبارَكَ وتَعالى كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ بألْفَي عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِما سُورَةَ البَقَرَةِ، فَلا تُقْرَآنِ في دَارٍ ثَلاثَ لَيالٍ فَيَقْرَبها شَيْطَانٌ».

هذا حديث غريب، وأخرجه أحمد (١٨٤١٤) الدارمي ١/٤٤٩، والترمذي (٢٨٨٥) وإسناده قوي، وصححه الحاكم ٢/٢٦٠ ووافقه الذهبي.

قوله: «بألفي عام» لا ينافيه ما رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» لجواز مغايرة الكتابين، أو

لجواز اختلاف أوقات الكتابة، أو لجواز أن لا يراد به التحديد، بل لمجرد السبق الدال على الشرف.

باب

السبعِ الطُّوَلِ

١١٦٧- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ فَهُوَ حَبْرٌ»، يَعْنِي بذٰلِكَ السَّبْعَ الطُّوَلِ مِنَ القُرْآنِ.

أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٢٠، وأحمد (٢٤٤٤٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٣٧٨)، والحاكم ١/ ٥٦٤، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤١٥)، وإسناده حسن.

والسبع الطُّوَل أولها سورة البقرة وآخرها سورة الأنفال.

باب

فضل سورة الكهف

١١٦٨- عَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ يَرْويه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٨٠٩) عن محمد بن مثنى، عن معاذ ابن هشام، عن أبيه، عن قتادة.

وسببُ الحِفْظِ بها ما في أَوَّلها من العجائِب، فإنَّ مَنْ تدبَّرها لم يستغرب أَمْرَ الدجالِ فلا يُفتتن به. وقيل: بل هو خاصية لها. وقيل: كما عصم الله أولئك الفتية من ذلك الجبار كذلك يعصم قارئها من كلِّ جبار.

١١٦٩- عن سهل - هو ابن معاذ - عَنْ أَبيهِ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الكَهْفِ وآخِرَهَا، كانَتْ لَهُ نُوراً مِنْ قَدَمِهِ إلى رَأْسِهِ، وَمَنْ قَرَأَها كلَّهَا كانَتْ لَهُ نُوراً مِنَ الأَرضِ إلى السَّماءِ».

أخرجه أحمد (١٥٦٢٦)، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف، وشيخه زبَّان بن فائد، وهو ضعيف لا يُحْتَجُّ به أيضاً.

١١٧٠- عَنِ البَرَاءِ قَالَ: كانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وإلى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وتَدْنُو، وجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِيْنَةُ تنَزَّلَتْ بالقُرْآنِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥).

وقد صح عن أُسَيْد بن حضير: كان يقرأ مِنَ اللَّيْلِ سورةَ البقرةِ، إذْ جالَتِ الفَرَسُ، فَسَكتَ، فسَكَنَتْ، فقرأ فَجَالتْ، فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، ثم قرأ، فجالَتِ الفرسُ، فانصرفَ، قال: فَرَفَعْتُ رأسي إلى السَّماءِ فَإذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أَمْثَالُ المَصَابِيح عَرَجَتْ حتَّى ما أراها، فلما أصبح حدَّث النبيَّ ﷺ، قال: «تِلْكَ الملائِكَةُ دَنَتْ لصوتِكَ، ولو قرأتَ لأصبحت ينظُرُ الناسُ إليها لا تَتَوارى منهم».

أخرجه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦).

والحِصان: الفرس الفحل، بكسر الحاء، وبفتح الحاء: المرأةُ العفيفة.
والشَّطَنُ: الحبلُ الطويلُ الشديدُ الفتلِ، يريد أنه كان ربطه بحبلَيْن.

«والسكينةُ» سكونُ القلب والطُّمأنينة.

باب

في الٓمٓ تنزيل السجدة وتبارك

١١٧١- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ لا يَنامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿تَبَارَكَ﴾ و﴿الٓمٓ تَنْزِيلُ﴾.

١١٧٢- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ لا يَنامُ حَتَّى يَقْرَأَ تَنْزِيلَ السَّجْدَة و ﴿تَبَارَكَ﴾.

حديث صحيح، أخرجه أحمد (١٤٦٥٩)، والبخاري في «الأدب» (١٢٠٧) و(١٢٠٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي (٧٠٦) و(٧٠٧)، وانظر تمام تخريجه في المسند».

ورُوي عن عباس الجُشَمِي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ ثَلاثُونَ آيةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وهِيَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾.

إسناده حسن، وأخرجه أحمد ٢/٢٩٩، والترمذي (٢٨٩٣)، وأبو داود (١٤٠٠) وغيرهم، وصححه ابن حبان (٧٨٧) و(٧٨٨) وله شاهد من حديث أنس وآخر من حديث ابن عباس.

باب

فضل سورة الإخلاص

١١٧٣- عَنْ أبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ: أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ، وكانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٠١٣)، ومسلم (٨١١).

قوله: «إنَّها لتعدلُ ثُلُثَ القرآن» قيل في تفسيره: هي ثُلُثٌ باعتبارِ معاني القرآن، لأنَّه أحكامٌ وأخبارٌ وتوحيد، وقد اشتملت هي على القسم الثالث، فكانت ثُلُثاً بهذا الاعتبار، ويشهد له ما أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن»: ١٤٤ عن أبي الدرداء مرفوعاً: جَزَّأَ رسولُ الله ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء فقال: ﴿قل هو الله أحد﴾ جزءٌ منها، وانظر «المنتقى» للباجي ١/ ٣٥٣.

١١٧٤- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُحِبُّ هٰذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاها أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ».

أخرجه أحمد (١٢٤٣٢)، والترمذي (٢٩٠١)، وابن حبان (٧٩٢) وهو حديث صحيح وإسناده حسن.

وعن عائشةَ في رَجُلٍ قَالَ: إني أحبُّ أَنْ أَقْرَأَها لأَنَّها صفةُ الرحمنِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».

١١٧٥- عَنْ عُبَيْدِ بنِ حُنَيْنٍ مَوْلَى آلِ زَيْدِ بنِ الخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَسَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ. ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وجَبَتْ» فَسَأَلْتُهُ: مَاذا يا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «الجَنَّةَ». فَقَالَ أبو هُرَيْرَةَ: فأردْتُ أنْ أَذْهَبَ إلى الرَّجُلِ فَأُبَشِّرَهُ، ثمَّ فَرِقْتُ أَنْ يَفُوتَنِي الغَدَاءُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فآثَرْتُ الغَدَاءَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إلى الرَّجُلِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَهَبَ.

حديث صحيح، أخرجه مالك ١/ ٢٠٨، ومن طريقه أحمد (٨٠١١)، والترمذي (٢٨٩٧)، والنسائي ٢/ ١٧١.

باب

المعوذتين

١١٧٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا أَوى إلى فِرَاشِهِ كلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ونَفَثَ فِيهما، وقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِما رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَصْنَعُ ذٰلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٠١٧).

قوله: «فنفث فيهما»، أي: تفل بلا ريق، والتفلُ لا يكون إلا ومعه شيء من الريق.

ويروى بإسناد غريب عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ مِنَ الجَانِّ، ومَنْ عَيْنِ الإنْسانِ، حَتَّى نَزَلتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ، أَخَذَ بِهِما، وَتَرَكَ ما سِوَاهُما. أخرجه الترمذي (٢٠٥٩)، والنسائي ٨/ ٢٧١، وابن ماجه (٣٥١١) وقال الترمذي: حسن صحيح.

١١٧٧- عَنْ عُقْبَةَ بن عامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: اتَّبَعْتُ النَّبيَّ ﷺ وهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ هُودَ، أَوْ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ؟ قَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ بِشَيْءٍ أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾».

أَخرجه أحمد (١٧٣٤١)، والنسائي ٨/ ٢٥٤ بإسناد صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

وصَحَّ عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

أخرجه مسلم (٨١٤).

قوله: «لم يُرَ مِثْلُهُنَّ» أي: لم يكن سورةٌ آياتُها كلُّها تعويذاً من شَرِّ الأشرار.

باب

كيف القراءة والترجيع فيها

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالى: ﴿ورَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقَولُهُ سُبْحانَهُ وتَعَالى: ﴿ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] أَي: أَنْزَلناهُ مُرَتَّلاً، وهُوَ ضِدُّ المُعَجَّلِ.

١١٧٨- عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: كَيْفَ كانَتْ قِرَاءَةُ النَّبيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: كانَتْ مَدّاً، ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يَمُدُّ بِبِسْمِ اللهِ، ويَمُدُّ بالرَّحْمٰنِ، ويَمُدُّ بالرَّحِيْمِ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٠٤٦).

١١٧٩- عن عَبْدِ اللهِ بنِ مُغَفَّل قَالَ: رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهُوَ على نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وهِيَ تَسِيْرُ بِهِ، وهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْح أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً وهُوَ يُرَجِّعُ.

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٤٧)، ومسلم (٧٩٤).

والترجيعُ: تقاربُ الحركات في القراءة، وهو الترديد. والمعنى: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناءِ، لأنَّ هذا يُنافي الخشوعَ الذي هو مقصودُ التلاوة.

وفي الحديث: دليلٌ على ملازمته ﷺ للعبادة، لأنه لم يتركها حال ركوبه، وفي جَهْرِهِ بالتلاوة إرشادٌ إلى أَنَّ الجَهْرَ بالعبادة قد يكون في بعضِ المواضع أفضل من الإسرارِ، وهو عند التعليم وإيقاظ الغافل ونحوه.

١١٨٠- عَنْ يَعْلَى بن مَمْلَكٍ: أَنَّهُ سَأَلَ أُمَّ سَلَمة عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَإذا هِيَ تَنْعَتُ قِراءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفاً حَرْفاً.

أخرجه أحمد (٢٦٥٢٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، وأبو داود (١٤٦٦)، والنسائي ٢/ ١٨١ و٣/ ٢١٤، وفي إسناده يَعْلى بن مَمْلَك لم يُوَثِّقْه غير ابن حِبَّان، لكن يشهد له ما أخرجه أحمد (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١)، وصححه الدارقطني ١/ ٣٠٧ من طريق ابن جُرَيْج، عن ابن أبي مُلَيكَةَ، عن أُم سَلَمَةَ بلفظ: «كان رسولُ الله ﷺ يُقَطِّع قراءَته، يقول: ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرحمن الرحيم﴾، ثم يَقِفُ».

باب

التغني بالقرآن

١١٨١- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ كأَذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرْآنِ» أَي: يَجْهَرُ بهِ.

هـذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).

قوله: «ما أذِن اللهُ لِشيءٍ كأَذَنِهِ» يعني: ما استمع لشيءٍ كاستماعه، واللهُ لا يَشْغَلُه سَمْعٌ عن سمع، يقال: أَذِنْتُ للشيء آذَنُ أذَناً بفتح الذال: إذا سمعتَ له، قال حبيبُ بن أبي ثابت في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّها﴾ [الانشقاق: ٢ و٥] أي: سمعتْ، يريد: سمع الطاعة.

وفي بعض الروايات «كَأَذَنِه لِكُلِّ من يتغنَّى بالقرآن، أي: يجهر به» فمنهم من يجعل قوله: «يَجهرُ به» تفسيراً للتغني، كما صرح به في رواية محمد بن عمرو، وكلُّ من رفع صوته للشيء مُعْلِناً به، فقد تغنَّى به، ومنهم من لم يجعله تفسيراً، فعلى هذا اختلفوا في معنى «التَّغَنِّي» ها هنا، وفيما رُوِي

١١٨٢- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرْآنِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

فقال قوم: معنى هو تحسينُ الصوت وتحزينُه، لأنه أوقعُ في النفوس، وأنجعُ في القلوب.

وروي عن البراء بن عازب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «زَيِّنُوا القُرآنَ بأصْواتِكُمْ» أخرجه أحمد (١٨٥١٦)، وأبو داود (١٤٦٨)، والنسائي ٢/١٧٩ بإسناد صحيح.

ذهب بعضهم إلى أن هذا من المقلوب، ومعناه: زينوا أصواتكم بالقرآن، ويروى هكذا عن رسول الله ﷺ، كما يقال: عرضت الناقة على الحوض، أي: عرضت الحوض على الناقة.

وفيه دليلٌ على أن المسموعَ من قراءة القارىء هو القرآنُ، وليسَ بحكاية القرآن.

وقيل: معنى «التغني» هو الاستغناءُ، وإليه ذهب سفيان بن عيينة، فمعناه: ليس منا من لم يستغنِ بالقرآنِ عن غيره.

وسئل ابنُ الأعرابي عن هذا، فقال: كانت العربُ تتغنَّى إذا ركبتِ الإبلَ، وإذا جلستْ في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحبَّ رسولُ الله ﷺ أن يكون القرآنُ هِجِّيرَاهُم مكانَ التَّغَنِّي.

قال الشافعي: لو كان معنى «يتغنى بالقرآن» على الاستغناء، لكان «يتغانى» وتحسين الصوت هو يتغنَّى، قال الشافعي: فلا بأسَ بالقراءة بالألحان وتحسينِ الصوت بأيِّ وجهٍ ما كان، وأحب ما يُقرأ إليَّ حَدْراً وتحزيناً.

وقرأ رجل عند أنس بلحنٍ من هٰذه الألحان، فكره ذلك أنس. قال محمدُ ابن سيرين: كانوا يَرَوْنَ هٰذه الألحان في القرآن مُحْدَثَةً.

١١٨٣- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلَ رَسولُ الله ﷺ المَسْجِدَ فَسَمِعَ قِرَاءَةَ رَجُلٍ، فَقَالَ: «مَنْ هٰذَا؟» قِيْلَ: هٰذَا عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ، قَالَ: «لَقَدْ أُوتِيَ هٰذا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

قوله: «من مزامير آل داود» قيل: أرادَ به داودَ نفسَه خاصة، لأنه لم يُذْكَرْ أن أحداً مِن آل داود أعطِيَ من حسن الصوت ما أعطيَ داود. و«المزامير»: جَمْعُ مِزْمَارٍ وهو آلةُ اللهو، ويُطْلق على الصوتِ الحَسَنِ وهو المرادُ هنا.

وكان الحسنُ إذا صلَّى على النبي ﷺ قال: اللهم اجعلْ صلواتِك وبركاتِك على آلِ أحمد، ويريدُ نفسَ أحمد، لأنه المفروض.

وقال عمر بن شَبَّةَ: سمعت أبا عُبيدة -وسئل عن رجل أوصى لآل فلان بمال، هل: لفلان نفسِهِ من ذلك شيء؟ قال: نعم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أدخِلوا آلَ فِرْعَونَ أشدَّ العذَابِ﴾ [المؤمن: ٤٦] ففرعون أولهم، وقيل: يجوز أن يكون أراد بآل داود: أهل بيته، ولا يُنْكَرُ أن يكونوا أشجى أصواتاً من غيرهم أكرمهم الله به، فإنا نجد حُسْنَ الصَّوْتِ يُتَوارَثُ.